

"قلْ للمليحةِ بالخِمارِ الأسود..."

بقلم: أدما حبيبي

تردُّ الكاتبة سعاد أبو ريشة على مقال نشره أحد الكتاب العرب في لوس أنجلوس تحت عنوان "هم أرادوها أنثى" الذي يعزو به إلى رغبة الرجل في جعل المرأة أنثى وأنثى فقط مجردة من كل ميزة رفيعة، فقالت: "عفوا... ليسوا هم من أرادوها أنثى، بل هي من أرادت نفسها أنثى بكل بساطة.

وباشرت الكاتبة سعاد أبو ريشة مقالها لنقول: "أرادت المرأة نفسها أنثى مجردة من كل معايير الأخلاق السامية. إن ابنة هذا العصر سفحت الحياء جهراً. نزعت عنها مئزر الحشمة الموروثة التي تزينت به جداتنا عبر العصور. هي من فجرت أنوثتها بإباحية وعناء. وحولت كل هبات ربها الجمالية إلى بدعة مشوهة... هي من سمحت للجرأة الوقحة أن تغزو معطياتها الروحية النبيلة وتمزق جلال وشاح عفافها... ذلك الاستهتار الذي جرّده المدينة الجوفاء من كل عيب وخجل فأصبح الخفرُ والورع والحياءُ عندها نقصاً ومذلة يعيبانها. إن فتاة هذا الجيل في الغرب بانحرافها وانحرافها في تيار المدنية الخرقاء هوت بنفسها إلى القاع المشين. جلّت عن محياها ظل البراءة والطهارة. وبعد، كيف لي (تقول الكاتبة) أن أبرئها من فعلتها وألقي بالتبعة عليكم يا معشر الرجال إن هي أرادت نفسها سلعة؟ إن تفاحة واحدة أخرجتكم من الجنة فكيف وقد ضاقت أرضكم بما لذ وطاب من النفاق؟ وإن كانت ذات الخِمارِ الأسود ضللت العابد المتعبّد، أبعدته عن صومعته وأنسته صلاته، فماذا تفعلون يا أبناء آدم أمام (ما ترونه اليوم؟)

وهنا انتقلت الكاتبة سعاد أبو ريشة لنقول: "إن الشرق والغرب لا يلتقيان. ولن يلتقيا فلم ننصهر بأخلاقهم ولا بعباداتهم. فيا أخي كاتب المقال أصدقني القول أما زلت مصراً بأنهم هم من أرادوها أنثى؟ أم أن ابنة حواء هي من شاعت وبعناد أرادت أن تكون أنثى مضرجة بعبق الإغراء والإثارة؟" وختمت الكاتبة أبو ريشة بتوجيه كلمتها إلى الأم فقالت: "يا ابنة الشرق يا فتاة هذا العصر إن مسؤولية الغد تقع عليك وعليك وحدك، العبء ثقيل ولك منه القرار والإقرار بالعودة إلى ذاتك وأصالتك إلى قيمك الموروثة. احمي نفسك وبناتك من تلك البدع المشوهة وآثارها المريبة."

كلا ليس هم (أي معشر الرجال) من أرادوها أنثى، بل هي التي أرادت نفسها كذلك. و السبب حسبما حللت الكاتبة هو أن المرأة راحت تعرض نفسها وتتخلى عن حشمتها وورعها. هذه هي خلاصة كلام الكاتبة. والآن ما هو رأي القارئ العزيز وقارئتي العزيزة في هذا الموضوع؟ ألا تريا معي أن هناك شيئاً من التناقض في رد الكاتبة هذا؟

إذ بعدما عرضت صورة المرأة العصرية وإباحيتها في الغرب ، وأنها هي السبب والعلّة في من أرادت نفسها كذلك، اقتبست مثالا نقيضا لكلامها عن العابد المتنسك والمتعبد الذي ما أن رأى امرأة متخفية بالخمار الأسود وهو في صومعته يتعبد ، حتى توقف عن العبادة وتأدية الصلاة. والسبب بالطبع لأن فكره شرد وراحت مخيلته تتصور الفتاة أو المرأة ما وراء الخمار الأسود الذي كان يغطيها. وعليه لم يعد يستطيع تأدية الصلاة فكتب يقول:

قُلْ للمليحةِ بالخِمارِ الأسودِ

ماذا فعلتِ بناسكٍ متعبدٍ

إذن النتيجة التي نتوصل إليها هي واحدة و لا تقتصر على التعري أو إظهار معالم الجسد لأن جنح الفكر والمخيلة إلى عالم آخر هو أساس المشكلة ليس إلا. والفكرُ وما ينتج عنه والقلب وما يهواه ويشتهي، هما أساس كل ما يصدر عن الإنسان من كلام وتصرف. الفكر و المخيلة والقلب هذه هي كلها مصدر العواطف والقرارات والتصرفات. فماذا نفع بالفكر الذي يدنس الجسد تماما كما تدنّسه الرؤية أيضا؟

بالطبع أنا لا أدافع هنا عن بنات الغرب الذين وصفتهم الكاتبة . لكن هذا لا يعني أن كل نساء الغرب هنّ على هذه الشاكلة المنحلّة التي وصفتها، تماما كما أن ليس كل نساء الشرق هنّ خجولات ومتحفظات وورعات بحسب ما يظهنّ به للأخرين؟ وعليه فالمظهر لا يكفي لكي نبني على أساسه رأياً وننّخذ بناءً عليه موقفاً. فالأفئعة التي نراها في وجوه الناس تخفي وراءها الكثير الكثير. فهل نُدع بالمظاهر؟

بعد قراءتي لكتاب الأميرة "Princess" بالإنكليزية فوجئتُ بالحق من مجالس الشريفات في بلد عربي عريق. إذ همهنّ الأوحدهو كيف يمكنهن جذب الرجال عن طريق لباسهن وصفصفة شعرهن وإلى آخره من طرق... وتعجبت لا بل استغربت أيضاً أنه إذا كانت النساء الشريفات المنحدرات من الطبقات الغنية والمتقفة يفكرن على هذه الشاكلة، بأنهنّ وُجدن ليتمتع بهن الرجال ليس إلا، فما هو تفكير النساء البسيطات وغير المتقفات؟ ترى من أين تحدّر هذا التفكير؟ هل هو من بعض الأديان المنتشرة التي تقول بأن المرأة هي "لعبة" يتلهى بها الرجل - أم من المجتمع الشرقي الذكري؟

مهما كان الحال، فمشكلة القلب تبقى هي مشكلة الإنسان الأساسية وهذه ينبغي حلها أليس كذلك؟ فكيف تتغير طبيعة الإنسان الفاسدة يا ترى؟ كيف تتغير أفكار قلبه، مصدر عواطفه وقراراته. قال مرة الفادي يسوع المسيح الخبير العليم وحده بشؤون وشجون الإنسان ما يلي: " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان. ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذاك ينجس الإنسان. لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان." فالحاجة الماسة إذن هي إلى يد الله وحدها التي خلقت الإنسان الذي سقط في الخطية. نحن بحاجة إلى عملية ولادة روحية تخلقنا من جديد.

يقول الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ما يلي: " إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً. " إذن الخليفة الجديدة عن طريق الإيمان بالفادي يسوع المسيح هي التي تبدل وتغير قلب الإنسان من الداخل.

سؤل مرة أحد خدام الرب العرب المعروفين عما إذا كانت الشهوات الموجودة في داخل الإنسان تذوي وتزول نهائياً بعد أن يولد من جديد. فقال: "أستطيع أن أشهد وأقول بأن الله صنع في معجزة ويستطيع أن يفعل في كل من يؤمن به ويضع ثقته فيه. والمعجزة هي أنه حررني من سيطرة شهواتي وعاداتي الفاسدة عليّ ومنحني قوة أستطيع بها أن أزيح عني كل فكر لا يليق ينجس داخلي وأستبدله بوعود الله الغنية في كلمته المقدسة. وكلمة الله في الإنجيل حية وقوية تمدني في كل يوم بقوة جديدة وتمنحني نصره على الخطية المحيطة بي."

"إن حررركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" هذا ما قاله الفادي المسيح. فهل اختبرت صديقي القارئ وأنت صديقتي القارئة هذا الاختبار المجيد؟ الأشياء العتيقة تمضي ويصبح كل شيء جديداً. وعليه يسكن الله في قلوبنا بالروح القدس فينير حياتنا وينبّهنا دائماً لتكون أفكارنا مقدسة وسلوكنا مرضياً أمامه. وأنت سيدتي قيّمي حياتك بناء على كلمة الله حتى تستطيعي أن تظهري بالمظهر اللائق والحسن أمام الله أولاً، ومن ثم أمام الناس أيضاً. فتكوني قلباً وقالبا مرضية لله الذي وحده يغير الداخل والخارج معاً. فليس المهم من يريدك أنتى أم الرجل أم الدين، المهم ماذا يريد الله منك أن تكوني؟ هو خلقك على صورته ومثاله وشبهه كما خلق آدم تماماً. هذا ما يدوّنه لنا الكتاب المقدس الموحى به من الله تعالى. وهو الكتاب الذي قال عنك إنك "نظيرة" لآدم. فلا ما يقوله المجتمع وليس ما يعتقد به البعض بهمّ إذن. **أليس كذلك؟**